الأهرام

سيناريوهات ما بعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان

أول ما يلفت نظرنا إليه «فردريك هوف» الملحق العسكرى الأمريكى السابق فى بيروت ، وهو الآن من أهم الخبراء فى الشئون السورية اللبنانية ، هو أن شقة الخلاف بين سوريا وإسرائيل قد اتسعت . فقبل بضعة أسابيع بدا أن الخلافات بين البلدين قد ضاقت لتنحصر فى الـ ١٧,٦ كيلو متر مربع التى تفصل بين حدود ١٩٢٣ وبين حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ، ولكن اسرائيل تريد الآن إنشاء «منطقة عازلة بين البلدين فى شمال شرق بحيرة طبرية أعمق كثيرا جدا من العشرة أمتار التى تفصل بين حدود ١٩٢٣ و١٩٦٧» ، بينما تصر سوريا على حقها فى مياه البحيرة . وهذا الخلاف الذى لا يبدو له حل قريب هو الذى نقل الاهتمام إلى جنوب لبنان وأكسب قرار باراك بالانسحاب من هذه المنطقة ، دون اتفاق مع سوريا بما لها من نفوذ معروف فى لبنان ، أبعادا خطيرة .

وتقول اسرائيل إنها ستنفذ من جانبها قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ القاضى بانسحابها من المنطقة وأبلغت كوفى عنان أمين عام الأمم المتحدة بأنها ستترك مسئولية الحفاظ على الأمن فيها «للطرف المنتفع من هذا الانسحاب وهو لبنان» . وقد بعث عنان بمندوب عنه للرئيس اللبنانى إميل لحود ليتعرف على رد فعله «ولكن الكل يعلم موقف لحود الدقيق والصعب» ، فكل المعطيات لا تسمح للحود بوجود أى خلاف مع سوريا حول هذا الموضوع . كما أن هناك أساسا جوهريا تعتمد عليه لبنان فى موقفها تجاه قرار إسرائيل . فهى لن تنسحب من لبنان ، وإنما «ستعيد نشر قواتها بحيث تحتفظ بأجزاء لها أهميتها الكبيرة تكتيكيا» . فهل يمكن للأمم المتحدة إنشاء لجنة مشكلة من خبراء لبنانيين واسرائيليين ودوليين للتأكد من أن الانسحاب الاسرائيلى هو انسحاب فعلا خلف الخطوط الدولية؟ هذا السؤال لابد من العثور على إجابة عنه للتحقق من جدية الانسحاب .

ومع هذا فإنه لابد من الاعتراف بأنه حتى إذا نفذت اسرائيل انسحابها من جانب واحد فإن الحاجة إلى «صفقة سلام» تشمل قضية اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان «لن تختفى» . فإذا كانت اسرائيل تريد طرفا على الجانب الآخر من الحدود يتمتع بمصداقية كافية لمنع الهجوم عليها ، فهو سوريا . وسوريا تريد عودة الجولان المحتلة والاحتفاظ بموقفها فى لبنان ، ولبنان يريد الاحتفاظ بمظلة الحماية السورية وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والتخلص من صراع أصبحت فيه «الدولة الضحية» فى المنطقة . وبما أنه من المستحيل تصور التوصل إلى مثل هذه الصفقة خلال الأسابيع القليلة القادمة ، فإن على جميع الأطراف أن تراعى ضبط النفس إلى أقصى درجة ممكنة . وفى غضون ذلك «يجب على اسرائيل أن تلتزم بالشرعية الدولية وأن يقوم لبنان بمسئوليته وأن تسمح سوريا له بذلك» . فإذا حدث هذا فإنه قد يولد ديناميكيات تسهل التوصل إلى صفقة السلام الشاملة ، وإلا فإن أحدا لا يستطيع التكهن بمدى اتساع دائرة العنف والابتزاز وسفك الدماء فى لبنان .

لبننة الضفة وغزة!

أما «جال لوفت» الكولونيل السابق فى الجيش الاسرائيلى الذى خدم فترة طويلة على الجبهة اللبنانية ، والزميل الحالى بمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ، فإنه يقول يجب أولا أن نسأل لماذا قررت إسرائيل فجأة وبعد سنوات عديدة من احتلالها الجنوب اللبنانى أن تجعل مسألة الانسحاب منه القضية رقم واحد على أجندتها القومية ؟ ويتفرد «لوفت» بالاعتقاد بأن قرار الانسحاب كان نتيجة لديناميكيات داخلية فى إسرائيل أكثر من كونه نتيجة للخسائر البشرية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كوفى عنان

الاسرائيلية . فهو يقول مثل بعض الصقور إنه كان يمكن لإسرائيل التى تفقد المئات سنويا في حوادث السيارات أن تتحمل من عشرين إلى ثلاثين قتيلا على الجبهة اللبنانية فى مقابل نسبة أكبر من الأمن للمواطنين فى شمال إسرائيل . ولكن بعد مقتل الجنرال الاسرائيلى «ارست جروستين» قبل ١٣ شهرا واجه الصحفيون الاسرائيليون المرشحين الثلاثة فى الانتخابات لرئاسة الوزراء فى هذا الوقت – باراك ونتانياهو ومورد خاى – والثلاثة متهمون الآن فى فضائح مختلفة – بسؤال محدد وهو «ما الذى يمكن أن يفعله كل منهم إذا فاز فى الانتخابات» فإذا بباراك يحاول أن يزايد على منافسيه فيلزم نفسه بالانسحاب من جنوب لبنان بحلول صيف سنة ٢٠٠٠ .

ومنذ ذلك الوقت اكتسب هذا الالتزام حياة خاصة مما ولد بالتالى ديناميكيات أدت إلى أن يقع باراك فى فخ من صنعه هو . إذ أن إسرائيل تواجه الآن خلافا رئيسيا بين قادتها العسكريين وقيادتها السياسية . فبينما تؤكد القيادات العسكرية على المخاطر التى يمكن أن تنجم عن الانسحاب من طرف واحد ، فإن باراك يبدو غير مكترث بالمرة برأى العسكريين المهنيين ، إلى حد أنه لم يقبل «حتى بتصيحتهم بأنه يجب على الأقل الاحتفاظ ببعض المواقع الأمامية على الأراضى اللبنانية».

شكوك عربية !

وعندما سألت لوفت عن الشكوك العربية من أن باراك سيحتفظ بالفعل بمواقع أمامية

ايهود باراك

فى جنوب لبنان بالرغم من تصريحاته العلنية زعم أن الحدود بين لبنان وفلسطين ، التى أصبحت بعد ذلك الحدود مع اسرائيل . لم يتم تخطيطها ومن ثم فإن أحدا لا يعرف على وجه التحديد الخطوط التى تفصل بين البلدين .

أما «باتريك كلوسون» نائب مدير المعهد فقد رد على سؤالى بأن ردد ما قاله «فريدريك هوف» بأنه يجب تشكيل لجنة من الأمم المتحدة بمساعدة قواتها الموجودة بالفعل فى المنطقة المعروفة باسم (يونيفيل) للتأكد من أن اسرائيل قد انسحبت بالفعل إلى الحدود الدولية ، ويزيد كلوسون فيطالب إسرائيل بأن تطلب من مجلس الأمن إصدار قرار يؤكد انسحابها من لبنان ومن ثم يرفع هذا الموضوع من أجندة المجلس .

ويرد لوفت على من يقولون فى إسرائيل بأنه يمكن إعادة غزو الجنوب اللبنانى إذا ما تكررت الاعتداءات على إسرائيل بعد الانسحاب من المنطقة فيقول إن هذا أمر مستحيل . ففور انسحاب اسرائيل فإن الليشيات اللبنانية الموالية لها ستنهار فورا ولن تصبح هناك أى قوة يمكن التحالف معها فى لبنان . ويعارض الانسحاب فيقول إنه بينما يوجد الآن ٢٠٠ ألف إسرائيلى يعيشون تحت تهديد مدافع الكاتيوشا لدى حزب الله ، فإن الانسحاب سيضيف إلى هؤلاء ١٥٠ الف إسرائيلى آخر .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وسيضطر باراك عندئذ لمجرد الدفاع عن الخطأ الذى ارتكبه بالانسحاب دون اتفاق إلى أن يأمر بزد اسرائيلى أشد كثيرا من أى رد يمكن لأى رئيس وزراء آخر أن يتخذه . ويذكر «لوفت» هنا بما سبق لباراك أن صرح به سنة ١٩٨٢ وهو جنرال شاب من أنه بدلا من غزو لبنان الذى كان يخطط له شارون ، يجب ضرب الجيش السورى نفسه فهذا هو الأسلوب الأصح فى رأيه لحل المشكلة اللبنانية، وإذا كان باراك لم ينكر تصريحه هذا عندما سئل عنه أخيرا ، فإن نائبه فى وزارة الدفاع له «إفرايام سنيه» قد صرح يوم الأحد الماضى بأن أى هجوم من لبنان على إسرائيل سيؤدى إلى حرب بينها وبين سوريا ستثبت خلالها إسرائيل مدى تفوقها العسكرى !

وينبه «جال لوفت» بقية الصقور الإسرائيليين إلى الدرس الذى يمكن للأطراف الأخرى وخاصة الفلسطينيين أن تستوعبه من انسحاب إسرائيل . فإذا كان يمكن لمجموعة مدربة وذات معنويات عالية لا يزيد عددها على ٣٠٠ محارب مثل حزب الله أن تولد قوة دفع تؤدى فى النهاية إلى إنسحاب إسرائيل من أراض تحتلها ، فإنه يمكن للفلسطينيين الذين لديهم قوة تتشكل من ٣٠ ألف جندي أن يفعلوا الشئ نفسه . كما أن الانسحاب الإسرائيلى سيسهل «لياسر عرفات» أن يدرك مدى قوة احتمال المجتمع الاسرائيلى لضغوط مثل تلك التى ولدها حزب الله ، ومدى تفوق تكتيكات حرب العصابات فى استخلاص

التنازلات من إسرائيل على العمليات التى تلجأ إليها بعض الجماعات الفلسطينية «الإرهابية» .. ثم يقول لوفت إنه لن يدهش إذا ما وصلت المفاوضات الحالية مع الفلسطينيين إلى حائط مسدود أن يلجأوا هذه المرة ليس إلى انتفاضة جديدة ولا للعمليات الإرهابية السابقة ولكن سيقلدون حزب الله «لبننة» الضفة الغربية وغزة.

ويؤكد «مايكل أيزنستات» خبير الشئون العسكرية فى معهد واشنطن أن الزمن قد ولى الذي كانت أمريكا لا تهتم فيه بلبنان منذ مقتل ٢٤٠ أمريكيا من قوات المارينز فى بيروت واختطاف بعض الرهائن الأمريكيين . إذ سيترتب على انسحاب إسرائيل تزايد احتمالات العنف بل واحتمال وقوع صدام عسكرى بين سوريا وإسرائيل . فستسعى سوريا فى رأيه إلى الضغط على إسرائيل سواء عن طريق حزب الله أو عن طريق أى جماعة أخرى . كما أن مشكلة وجود ٣٥٠ الف لاجئ فلسطينى فى لبنان لن يحلها الانسحاب الإسرائيلى وسيسهل ذلك على سوريا استخدام بعض الجماعات بينهم للقيام بما قد لا يقوم به حزب الله .

منصب السفير لايزال شاغرا

ومن ثم فإن «أيزنستات» يتولى بالانابة عن هذا المعهد القريب من اللوبى اليهودى والذى أصبح يتمتع بمصداقية يعتد بها بين قيادات صنع القرار الأمريكى ، تقديم عدة توصيات لصانعى هذا القرار . أولها تحميل كل من لبنان وسوريا علنا مسئولية أى هجوم على شمال إسرائيل ، وأن تعمل أمريكا بكل قوة لإعداد الرأى العام العالمى لتقبل أى عمليات انتقامية أو وقائية قد تقوم بها إسرائيل لاستباق أى عمليات ضدها . بمعنى آخر أن «تحلل» أمريكا مقدما لإسرائيل أى عمل تراه لإخضاع لبنان وسوريا لمشيئتها أينما وحينما ترى ذلك ! كما على أمريكا أن تزود إسرائيل بكل ما يمكنها من شن هذه العمليات الوقائية. كما يمكن لأمريكا إضافة لبنان إلى قائمة الدول التى ترعى الإرهاب وتحث الدول الأوربية على عدم الاستثمار فى لبنان وسوريا . كما يجب على أمريكا أن تحمى أعضاء المليشيات اللبنانية المتحالفة مع إسرائيل وتعمل على توطين بعضهم فيها وفي كندا وأوربا.

بناء جنوب لبنان

أما فى حالة عدم الهجوم على شمال إسرائيل فعلى أمريكا أن تشجع الاستثمار فى جنوب لبنان لإعادة بنائه بما قد يتكلف حوالى مائة مليون دولار سنويا . أما بالنسبة للفلسطينيين فإن على أمريكا أن تتخلى عن عدم الاكتراث بأحوالهم فتعمل على تهجير بعضهم إلى البلاد العربية ورفع القيود التى تفرضها لبنان عليهم للحصول على عمل فيها وأن «تعمل على زيادة المساعدات الدولية لبناء مدارس ومستشفيات لهم إلى أن يعثر على حل نهائى لمشكلتهم !» أى أنه يجب على إسرائيل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عدم القيام بأي شئ لهؤلاء الفلسطينيين الذين كانت هى السبب الأصلى فى نكبتهم . ولنقارن بين ما تقوم به المنظمات اليهودية من إذلال لبلد فى أهمية سويسرا المتهمة باستغلال بعض الأموال اليهودية قبل خمسين سنة وبين هذه التوصيات تجاه شعب بقى فى المخيمات طوال هذه المدة !! ويختلف أيزنستات مع معظم المراقبين الأمريكيين فيقول إن انسحاب إسرائيل فى هذا الإطار وبمساندة قوية من جانب أمريكا لن يؤدى بالضرورة إلى اتساع نطاق العنف وسفك الدماء بل قد يؤدى إلى وضع أساس للسلام والاستقرار فى المنطقة .

غير أننا نلاحظ أن أيزنستات يمثل تيارا يشكك فى كل نيات سوريا إلى حد الزعم بأنه حتى إذا تم الانسحاب من جنوب لبنان ومن الجولان فى إطار اتفاق سلام فإنها ستستمر فى دفع حزب الله أو بعض الجماعات الفلسطينية الموالية لها للقيام من وقت لآخر بعمليات ضد إسرائيل تحتم ردها عليها فيتأزم الموقف بصورة تبرر عدم متابعة دمشق لعملية التطبيع معها !

ويختلف مع هذا الرأى فريدريك هوف معتمدا على خبرته المباشرة فى المنطقة وعلى الشواهد التى تدل على احترام سوريا لأى اتفاق كما هو حادث على جبهة الجولان منذ سنة ١٩٧٣ . كما يؤيد «ستيفين هيكار» المسئول السابق عن الشرق الأوسط فى وزارة الدفاع الأمريكية رأى هوف ويقول إنه إذا حدث الانسحاب فى إطار اتفاق فإن حزب الله لن يقوم بأى عمليات عبر الحدود مع إسرائيل فهو يستند إلى قاعدة جماهيرية تضحى من أجل تحرير أرضها ولكنها لن تضحى بكل شئ بعد ذلك لأنها تدرك أن صواريخ الكاتيوشا عندئذ ستعنى حربا إسرائيلية تدمر كل ما تبقى لديهم.

ماذا عن دور قوات يونيفيل الموجودة على الجبهة اللبنانية هل يمكن أن يكون لها دور بعد انسحاب إسرائيل ؟ يقول «جون هيلين» عضو اللجنة الاستشارية للأمن القومى المشكلة من الحزبين الديموقراطى والجمهورى والذى عهد له بدراسة هذا الموضوع ، إن اتصالاته أوضحت أن الأمم المتحدة لا تريد تحمل هذه المسئولية قبل التأكد من وجود إرادة سياسية دولية ومحلية تؤيد ذلك وقبل التأكد من انتشار الجيش اللبنانى على الحدود ليقوم بمنع أى هجوم على إسرائيل . كما أن قوة يونيفيل تتشكل من ٢٥٠٠ جندي معظمهم من دول مثل فيجى وغانا ونيبال «أى من دول يجتذبها مرتب الألف دولار شهريا لجنودها» . وقد شكلت هذه القوة من حيث الخبرة والتسليح من أجل الحفاظ على السلام ومراقبته وليس من أجل التصدى ومنع أى هجوم . ويضيف هيلين عندما أسأله عما يقال عن محاولة تشكيل قوات من خارج الأمم المتحدة إن هذا يتطلب تآلفا تقوده قوة عسكرية كبرى وأمريكا غير راغبة فى هذا الدور .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

غير ان تلك الاشرطة ما كانت لتتوفر الا بعد تحسن وسائل الاستخبار والمهارات القتالية لحزب الله على مر الاعوام. وقال مسؤول في الامم المتحدة يعمل في المنطقة عن مقاتلي حزب الله «عندما بدأوا اشتباكاتهم مع القوات الاسرائيلية، كانوا يتصورون ان كل ما يحتاجه الامر مجموعة من الناس تقف فوق تلة وتكبر هاتفة الله اكبر... وكانوا يخسرون نحو الاربعين شخصا في عملية واحدة، اما الآن فبات اسلوب عملياتهم اكثر تعقيدا وانضباطا». وفي المقابلة معه، قال الشيخ قاووق ان فرق حزب الله استطاعت تحسين فعاليتها عبر دراسة كل عملية من العمليات، والاستفادة من الاخطاء وتطوير استخدام الاسلحة المختلفة.

كما اشار الى اعتماد حزب الله على وسائل وطرق تقليدية الى حد بعيد احيانا مقابل القوات الاسرائيلية كثيرة العدد متقدمة العتاد. وشدد قاووق على ان «المقاومة ركزت دائما على نقاط ضعف العدو». ونوه الخبراء العسكريون الى ان حزب الله ابقى على تعداد قوات لا تتجاوز الخمسمائة مقاتل، رغم ان باستطاعته تحشيد اعداد اكبر. اما اعداد القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني فكانت عادة تبلغ نحو الف وخمسمائة جندي، يلقون الدعم من ألفين وخمسمائة من الميليشيات اللبنانية المتحالفة معها والتي [redacted] ت عند انسحاب اسرائيل المفاجئ من الجنوب في 24 م[redacted] ايار. ويشير مسؤولو حزب الله الى خسارتهم 1,200 مقاتل خلال اعوام المواجهة. كما قتل مئات الجنود الاسرائيليين ايضا.

واوضح الشيخ قاووق ان نوعين من الحرب دارت رحاها، حرب عصابات وحرب تقليدية. ومن خلال تنويع تكتيكاته، استطاع حزب الله الاحتفاظ بزمام المبادرة والتعاطف معه بعد كل اشتباك. واكد الشيخ على ان «حتى الصواريخ التي استخدمتها المقاومة استخدمت بذكاء. وكنا نحجم عن الاقدام عن اي عملية الا في المكان والزمان الذي نعتقد ان العملية فيهما ستجني ثمارا». كما اشار الشيخ قاووق والمراقبون العسكريون الآخرون الى عدد من ابداعات حزب الله، التي شملت قنابل الطرق المخفية داخل صخور بلاستيكية زائفة، يمكن شرائها من محلات بيع لوازم البستنة في بيروت مقابل 15 دولاراً. وشملت ايضا اطلاق الحيوانات داخل المناطق الخاضعة للرقابة الاسرائيلية عبر مجسات الحركة. كما استطاع حزب الله اعتراض اجهزة الرادار الاسرائيلية وكاميرات المراقبة التلفزيونية. فضلا عن كل ذلك، اكد الشيخ على انه كان جاهزا ومقاتلوه على الدوام «للشهادة»، بينما كان الجنود الاسرائيليون على غير استعداد «للموت في سبيل ذلك... لانهم كانوا لا يؤمنون بالهدف من هذه الحرب».

وشدد الشيخ على اهمية توفر شبكة استخبارات قوية. وتبينت كفاءة هذه الشبكة باغتيال الجنرال ايرتز غيريشتاين في 28 فبراير (شباط) العام الماضي، ضابط الارتباط الاسرائيلي الاعلى للميليشيات المتعاونة مع اسرائيل، جيش لبنان الجنوبي، بتفجير قنبلة في سيارته التي كانت تمر من احد الطرقات. كما تمكنت قوات حزب الله من الاجهاز على الكولونيل عقل هاشم في 30 يناير (كانون الثاني) بتفجير قنبلة في بيته في رميش منطقة بنت جبيل.

---

* خدمة «نيويورك تايمز»
- خاص بـ «الشرق الأوسط»

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية